قراءة فى

استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية

أ/ وليد عبد الماجد كساب(*)

الاختلاف سنة كونية من سنن الله -عز وجل-، ومن ثم كان أمراً وارداً، بل ومشروعًا فى بعض الأحيان، وقد أرسى الإسلام للاختلاف مبادئ وآدابًا تقوم على احترام الآخر وتقديره، ونهى عن الاختلاف الذى يؤدى إلى الشقاق، ويستنزف قوى المسلمين وطاقاتهم.

وفى هذا الإطار تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالعمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية على اختلاف مشاربها، وتباين اتجاهاتها، وهى المحاولة التى بدأت فى القرن التاسع عشر على يد جمال الدين الأفغانى، ومحمد رشيد رضا، ثم ظهرت كعمل مؤسسى فى الأربعينات من القرن العشرين بإنشاء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة، وإصدار مجلة "رسالة الإسلام".

وامتداداً للدور الرائد للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة، قامت بإعداد مشروع مستمد من روح الشريعة الإسلامية، ومستوحى من مقاصدها على أسس علمية مدروسة، يتضمن خلاصة ما انتهى إليه الفكر الإسلامى فى هذا العصر، وهذا العمل يعتبر ثمرة ندوتين عقدتا فى عامى ١٩٩١م، و١٩٩٦م، كانتا القاعدة لتطوير التفكير فى الخروج بوثيقة تحدد الهدف الأساسى من التقريب والمفهوم العلمى له، وقد أقرهما المؤتمر الإسلامى لوزراء الخارجية فى دورته الثلاثين المنعقدة فى طهران مايو ٢٠٠٤م.

والكتاب الذى بين أيدينا "استراتيجية القريب بين المذاهب الإسلامية" يبدأ بتمهيد يتضمن أهم المرتكزات التى تقوم عليها تلك الاستراتيجية، وهى:

أولاً: شروط سلامة الاستراتيجية.

(*) عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية.

ثانيًا: الأسس الفكرية والعلمية للتقريب.

ثالثًا: أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية.

رابعًا: فضل التقريب فى استقرار الأمة الإسلامية وتماسكها.

خامسًا: مسؤولية التقريب فى العالم الإسلامى.

سادسًا: الاختلاف فى الأصول والفروع.

أما الفصل الأول الذى جاء تحت عنوان "**فقه الاختلاف وجهود التقريب بين المذاهب الفقهية**"، فيتناول الاختلاف بين المسلمين وأثره على وحدة الصف المسلم، ويشدد على ضرورة التوحد والائتلاف، وهذا ما دعا إليه الإسلام، وطبَّقه السلف فى احترامهم لآراء مخالفيهم؛ ولذا قال المصنفونَ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أصحاب الشافعى وغيره: «إن المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجة العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه».

إن الحفاظ على الأخوة مع اختلاف الآراء أمر مَرْجُوٌّ، ويُستفاد من أخبار أئمتنا وعلمائنا السابقين ما يدل على أنهم كانوا -رحمهم الله تعالى- يحافظون على المودة والأخوة مع اختلاف مسالكهم وآرائهم، وما أكثر ما نقل من ذلك.

ويتناول هذا الفصل أيضًا، جهود التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وآداب الاختلاف كما ظهر فى مناظرات العلماء ومحاوراتهم، والجهود التى بذلت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادى.

وحول "**مفاهيم التقريب ومصادره**" يدور **الفصل الثانى** الذى يختص بتحديد مفاهيم بعض المصطلحات الأساسية التى تقوم عليها هذه الاستراتيجية باعتبارها مصطلحات تعبر عن المعانى الأساسية المتضمنة مقاصد محدودة ومدلولات معينة، وذات صلة خاصة بأهداف عملية للتقريب مثل:

* مفهوم الاستراتيجية.
* مفهوم التقريب.
* مفهوم المذاهب.
* مفهوم الخلاف والاختلاف.
* مفهوم المسائل.

وتتضمن الاستراتيجية إشارة وجيزة إلى مصادر التقريب بين المذاهب الإسلامية، حيث قسمت الأدلة بحسب اعتبارات أصولها إلى أقسام منها:

١- من ناحية النقل والعقل، فإنها تنقسم إلى:

أ- أدلة نقلية، مثل الكتاب والسنة النبوية، ويلحق بهما مثبت عليه إجماع الصحابة، وما يثبت فيه إجماع السلف الصالح، وشرع من قبلنا.

ب- أدلة عقلية: كالقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والعرف، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعقل.

٢- من ناحية الاتفاق عليها والاختلاف حولها، فإنها تنقسم إلى:

أ- أدلة متفق عليها وهي: الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

ب- أدلة مختلف فيها: وهي ما عدا ذلك من الأدلة.

وفي الفصل الثالث: "تطور المذاهب الإسلامية"، يتناول الكتاب نشأة المذاهب والفرق الإسلامية، فيتوقف في البداية عند المجالات السياسية والعقدية والفقهية لدوافع أساسية لظهور الفرق والمذاهب المختلفة.

ويفرق الكتاب بين المذهب والفرقة، حيث يرى المذهب مجموعة مبادئ وآراء متصلة ومنسقة لمفكر واحد أو لمدرسة فكرية، وكما يكون في الفقه يكون في الفلسفة أو العلم أو الآداب، أما الفرقة، فإنها جماعة تربطها معتقدات معينة، فلابد للفرقة من جماعة تحمل مقالاتها ونظرياتها.

ويتحدث الفصل ذاته عن نشأة الفقه والمذاهب الفقهية، وأهم الأسس التي يقوم

عليها كل مذهب ورجاله، سواء كان المذهب لأهل السنة أم للشيعة.

أما المحور الثانى من الفصل الثالث، فيدور حول دور أصول الفقه فى التقريب بين المذاهب، وتتمثل أهية دور علم الأصول فى التقريب بين المذاهب فى أمرين:

الأول: إبراز المبادئ المتفق عليها من قبل أئمة المذاهب، والعمل على صياغتها فى مصنف خاص يصلح أن يكون أساسًا لمدونات عصرية فى تنظيمها، وتلتزم بمقتضيات الأصول المتفق عليها من حيث التنظير والتطبيق، وهذا العمل يتطلب دراسة وافية يشترك فى وضعها مجموعة من المتخصصين.

المذهب الثانى: الانطلاق من مبادئ أساسية من شأنها أن توجه عملية التقريب والتوفيق بين الالتزام الدقيق بأوامر الشريعة ونواهيها، مع الحرص على الاختيار فى نطاق دائرة الشريعة بين الحلول العملية التى تراعى مصلحة الأمة وعزتها، وبين منافع كل الأفراد، وتحقق رغباتهم المشروعة.

وحول "**فقه المذاهب الإسلامية وضوابط الاختلاف فيه**" يأتى المحور الثالث، حيث يبدأ بتعريف الفقه وتقسيماته، وحكم الاختلافات الفقهية، حيث يقرر أن الاختلاف فى فروع الأحكام الشرعية جائز، إذ لا دليل على امتناعه، وقد اختلف الصحابة -رضوان الله عليهم- واختلف من جاءوا بعدهم، وتلك سنة الله -عز وجل-.

كما يتناول بعض الضوابط المهمة التى تتعلق بموضوع الاجتهاد ومجاله، وهو كل حكم شرعى ليس فيه دليل قطعى، وضوابط أخرى تتعلق بالمخالف حيث يشترط فيه العلم والفقه وغيرها من الصفات اللازمة لمن يتصدى للاجتهاد.

ويعرض الفصل الرابع لميادين التقريب حيث يحاول الإجابة على تساؤل مهم: أين سيتم تنفيذ استراتيجية التقريب بين المذاهب، ومن أين ستنطلق برامج التطبيق العملى وأنشطته؟ وأين سيتم تنفيذ خطط التقريب بين المذاهب الإسلامية وبرامجه، كما يتناول الفصل أهم وسائل التقريب وتتمثل فى:

١ - الحوار الفكرى.

٢- ميادين البحث والدراسة.

٣- الإعلام ووسائل الاتصال.

٤- التأليف والتحقيق والنشر.

٥- الاهتمام بالجاليات الإسلامية.

وعن "أهداف التقريب" يدور الفصل الخامس، حيث تتلخص أهم الأهداف فيما يلى:

١ - السعى الجاد المبرمج لتضييق الهوة الخلافية بين المدارس الاجتهادية الإسلامية.

٢ - إثبات أن الخلاف بين المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة لا يعنى الاختلاف فى جوهر النصوص التشريعية القطعية، وإنما هو اختلاف فى الفروع فقط.

٣- التأكيد على أن التقريب لا يعنى تذويب المذاهب ودمجها، وإنما يعنى إيجاد وجهات نظر موحدة تجاه بعض القضايا، خاصة القضايا الرئيسية.

كما يوجز هذا الفصل أهداف تلك الاستراتيجية على الوجه التالى:

١ - جعل التقريب بين المذاهب الإسلامية هدفًا إسلاميًا متجددًا، يعنى بتحقيقه الدول الإسلامية المختلفة.

٢ - الارتقاء بثقافة التقريب المذهبى والفقهى لدى الأجيال الإسلامية.

٣- إبراز الدور المتكامل بين المذاهب الفقهية القائمة، ودوره فى الارتقاء بالأمة.

٤ - حصر مواطن الخلاف فى المسائل والقضايا الظنية وردها إلى مصادرها الصحيحة، ومن ثم إزالة كافة الشكوك التى تثار حول نوازع الاختلاف العقدى.

٥ - العمل على تذويب الغلو والتعصب المذهبى بين كافة الاتجاهات حتى لا تذهب ريح المسلمين سدى.

٦ - مضاعفة الجهود الهادفة للوقوف أمام التيارات المعادية والتصدى لها.

ويأتى الفصل الأخير تحت عنوان: "سبل تنفيذ استراتيجية التقريب"، ويتناول أهم وسائل تنفيذ تلك الاستراتيجية، وهى كما يلى:

١ - إقرار الاستراتيجية وتبنيها بشكل رسمى على مستوى الحكومات والمؤسسات.

٢- استمرارية الحوار المتأني والمتعمق في مسائل التقريب وقضاياه، عن طريق عقد الندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش.

كما تضع الاستراتيجية بعض الإجراءات العملية على المستوى الوطني أم لا، ثم على المستويين الإقليمي والدولي.

وبعد،،

فقد كانت تلك قراءة موجزة لاستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية المعدة من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والتي أقرها المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته الثلاثين في طهران عام ٢٠٠٣م، وهذه الخطة بلا شك جهد مشكور يذكر للمنظمة، فيشكر، وينبغي أن تبذل المنظمة جهداً كبيراً لتنفيذ هذه المرئيات، فكم من توصيات ومشروعات ظلت حبيسة الأدراج وأسيرة البيروقراطية..

❊ ❊ ❊